



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"إِمْوَر" هو النصُّ الأسبوعي الثامن من كتاب "فَيَقْرَأ" (أي سفر اللاويين) ويبدأ هذا النصُّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الحادي والعشرين، وينتهي بِالآية الثالثة والعشرين من المقطع الرابع والعشرين.

عَنْ عَدَمِ الْخَوْفِ مِنَ الْعَظَمَةِ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

يتضمّن هذا النصُّ الأسبوعيُّ التوراتيَّ اثنتين من أهمّ الوصايا الأساسيّة في الديانة اليهوديّة، وهما وصيّتان تلمسان جوهر الهويّة اليهوديّة، وقد وردتا في الآية الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين من المقطع الثاني والعشرين من سفر اللاويين:

"وَلَا تُبَدِّلُوا (تُدَنِّسُوا) اسْمَ قُدْسِي، بَلْ أَتَقَدَّسْ فِيمَا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَا اللَّهُ مُقَدَّسُكُمْ، الْمُخْرِجُكُمْ مِنْ بَلَدٍ مِصْرَ، لِأَكُونَ لَكُمْ إِلَهًا، أَنَا اللَّهُ الْمُعَاقِبُ".

وتتضمّن هاتان الوصيّتان معًا بُعْدَيْنِ متلازمين: الأوّل هو النهي عن تدنيس اسم الله عزّ وجلّ، ويعني ذلك في العبريّة "حِيلُول هاشيم"، والثاني هو نقيضه الإيجابيّ المتمثّل في "قِدّوش هاشيم"، أي تقدّيس اسم الله عزّ وجلّ. وقد تطرّقنا إلى كلا المفهومين سابقًا عندما تناولنا نصّي "تَزْرِيع" و"مِصْرَاع"، لكنّ السؤال الذي يبرز هنا هو: بأيّ معنى يمكن للإنسان أن يُدَنِّس أو يُقَدِّس اسم الله عزّ وجلّ؟

لكي نفهم هذا المعنى، لا بدّ أوّلًا من الوقوف على مفهوم "الاسم" حين يُنسب إلى الله. فالاسم، في جوهره، هو الوسيلة التي يُعرَف بها الإنسان بين الناس. أمّا اسم الله، فليس مجرد لفظٍ يجري على الشفاه، بل هو حضور الله عزّ وجلّ وهيبته في العالم، وهو مكانته بين البشر، ومدى اعتراف الناس به، وتبجيلهم وتوقيرهم له.

عَنْ عَدَمِ الْخَوْفِ مِنَ الْعَظَمَةِ

وحين تأمرنا التوراة ألا نُدَسَّ اسم الله، بل أن نُقدِّسه، فإنها تُلقِي على عاتق البشرية، وعلى وجه الخصوص بني إسرائيل، المسؤولية عن صورة الله عزَّ وجلَّ في أعين الأمم، أي كيف تتعرَّف شعوبُ العالم على الله عزَّ وجلَّ من خلال سلوكنا وأعمالنا. وهذا ما عبَّر عنه النبي يشعياهو/إشعيا حين قال، كما ورد في الآية العاشرة من المَقْطَع الثالث والأربعين من سفر إشعيا: "أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ". إِنَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ هُوَ إِلَهُ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا، خَالِقُ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقْنَا جَمِيعًا، يَهُودًا وَغَيْرَ يَهُودَ، عَلَى صُورَتِهِ كَشَبْهِهِ. وَهُوَ، كَمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْتَّاسِعَةِ مِنَ الْمَزْمُورِ الْمِئَةِ وَالْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ: "الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكَلِّ، وَمَرَّاحُمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ".

ومع ذلك، يختلفُ إله بني إسرائيل اختلافًا جذريًا عن الآلهة الوثنيَّة التي عبدتها الحضارات القديمة، كما يختلف عن "طبيعة العالم" التي يؤمن بها المُلحدون العلميون اليوم. فالله عزَّ وجلَّ ليس الطبيعة، لأنَّه هو خالقُها، وليس الكونُ المادِّي، لأنَّه متسامٍ فوقه ومُتعالٍ عليه، ولا يمكن إدراكه عبر أدوات المنهج العملي مثل الرصد والقياس، ولا يمكن التعبير عنه بالأرقام، لأنَّه ليس من جنس الأشياء التي تخضعُ للمشاهدة أو التجربة. فكيف إذا نَعَرَفُ الله؟

إنَّ الجواب الجذريَّ الذي تُقدِّمه التوراة على هذا السؤال هو أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُعرَف، ليس حصراً ولكن بصورة أساسية، من خلال تاريخ بني إسرائيل، أي اليهود، ومن خلال الطريقة التي يعيشون بها وسلوكهم في العالم. وكما قال نبيُّ الله ورسوله موسى في نهاية حياته، كما ورد ابتداءً من الآية الثانية والثلاثين وانتهاءً بالآية الرابعة والثلاثين من المَقْطَع الرابع من سفر التثنية:

"وَالآنَ، فَاسْأَلْ عَنِ الْأَيَّامِ الْأَوَّالِ الَّتِي سَلَفْتُ مِنْ قَبْلِكَ، مِنْ يَوْمِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى الْأَرْضِ، وَمِنْ ظَرْفِ السَّمَاءِ إِلَى ظَرْفِهَا، هَلْ كَانَ قَطُّ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، أَوْ سَمِعَ مِثْلُهُ؟ هَلْ سَمِعْتَ أُمَّةً صَوَّتَ اللَّهُ، مُكَلِّمَهَا مِنْ وَسْطِ النَّارِ، كَمَا سَمِعْتَ أَنْتَ، فَعَاشَتْ؟ أَوْ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ عِلْمًا، بِأَنْ ظَهَرَ، فَتَخْلُصَ لَهُ أُمَّةٌ مِنْ بَيْنِ أُخْرَى، بِأَعْلَامٍ وَأَيَّاتٍ وَبَرَاهِينٍ، وَمَلَحَمَةٍ وَيدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَمَخَافَةٍ عَظِيمَةٍ، كَمَا صَنَعَ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ، بِمِصْرَ بِحَضْرَتِكُمْ".

لقد أدرك نبيُّ الله ورسوله موسى منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرناً أنَّ التاريخ اليهوديَّ كان، وسيبقى، فريداً في نوعه. فلم يسبق لأُمَّةٍ أخرى أن صمدت في وجهِ هذا القدر من المحن والابتلاءات. كما كان تجلِّي الله عزَّ وجلَّ لبني إسرائيل فريداً هو الآخر، إذ لا يوجد دينٌ آخر بُني على وحيٍ إلهيٍّ مباشرٍ لشعبٍ بأكمله كما حدث في جبل سيناء. ولهذا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ، إله الوحي والفداء، يُعرَف في العالم من خلال بني إسرائيل، أي إننا نحن أنفسنا، في ذواتنا وتاريخنا، شهادة حيَّة على ما يتجاوزنا، فنحن سفراء الله عزَّ وجلَّ إلى هذا العالم.

حين يتصرَّف الإنسان بطريقة تُثيرُ الإعجابَ باليهوديَّة، باعتبارها عقيدةً ومنهج حياة، يكونُ تصرُّفه هذا هو المعنى الحقيقي لـ "قِدْوش هاشيم"، أي تقديس اسم الله عزَّ وجلَّ. أمَّا حين نفعل عكس ذلك، فنخون هذه العقيدة والمنهج في الحياة، فإننا نتسبَّبُ بازدياد الآخرين لإله إسرائيل، وذلك هو ما يعنيه "حِيلول هاشيم"، أي تدنيس اسم الله عزَّ وجلَّ. وهذا تحديداً ما قصده النبي عاموس حين قال:

"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ (يدوسون) تُرَابَ الْأَرْضِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَسَاكِينِ، وَيَصُدُّونَ سَبِيلَ الْبَائِسِينَ... حَتَّى يَدْتَسُوا اسْمَ قُدْسِي"، كما ورد في الآية السابعة من المَقْطَع الثاني من سفر عاموس.

فحين يتصرف اليهودُ بسوءٍ أو ظلمٍ أو بطريقةٍ غير أخلاقيةٍ، يتسبّبون في "حِيلول هاشيم"، لأنَّ الناسَ يعتبرون سلوكهم سببًا لرفض الدين نفسه، فيقولون: "كيف يُمكنني احترامُ إلهٍ يُلهِمُ أتباعه أن يتصرفوا على هذا النحو؟". وينطبق الأمر ذاته على نطاقٍ أوسع، أي على مصيرِ الشَّعبِ ككلِّ. والنبِّي الذي لم يكلِّ أبدًا من الإشارة إلى ذلك هو يَحزقئيل/حزقيال، وهو الذي اقتيدَ إلى المنفى في بابل بعدَ دمارِ الهيكل الأول، إذ سمعَ من الله عزَّ وجلَّ هذه الكلمات التي وردتْ ابتداءً من الآية التاسعة عشرة وانتهاءً بالآية الثانية والعشرين من المَقْطَع السادس والثلاثين من سفر حزقيال:

"فَبَدَّدْتُهُمْ فِي الْأُمَمِ فَتَذَرُّوا (فتفرقوا) فِي الْأَرَاظِي. كَطَرِيقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ دَنُتُهُمْ. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْأُمَمِ حَيْثُ جَاءُوا نَجَّسُوا اسْمِي الْقُدُّوسَ، إِذْ قَالُوا لَهُمْ: هَؤُلَاءِ شَعْبُ الرَّبِّ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِهِ. فَتَحَنَّنْتُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَّسَهُ بَيْتُ يِسْرَائِيلَ فِي الْأُمَمِ حَيْثُ جَاؤُوا".

فعندما يُهَرِّمُ اليهودُ ويُنْفَوْنَ إلى المنفى، لا تكونُ المأساةُ مأساةً تخصُّ الشعبَ وحده، بل هي مأساةٌ في حقِّ الله عزَّ وجلَّ أيضًا، لأنَّه حين يرى شعبه في تلك الحالة، يشعرُ بما يشعرُ به أبٌ يشاهدُ ابنه وهو يُهانُ ويُلقى به في السجن. إنَّه أَلَمُ العارِ الممتزج بالفشل المتعذّر تفسيره، كأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: "رغم كلِّ ما فعلتهُ من أجل ابني، كيفَ لم أتمكنُ من إنقاذه من نفسه؟". أمَّا حين يكون اليهودُ مُخلصين لرسالتهم، ويعيشون وفقًا لها ويلهمون بها غيرهم من الشعوب، فإنَّهم بذلك يُعظِّمون اسمَ الله عزَّ وجلَّ ويُقدِّسونه. وهذا ما عبَّرَ عنه النبي يشعياهُ حين قال: "أَنْتَ عَبْدِي يِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أَتَمَجَّدُ"، كما ورد في الآية الثالثة من المَقْطَع التاسع والأربعين من سفر إشعياء.

وهكذا نفهمُ المعنى العميق الكامن وراء مفهومَي "قِدُّوش هاشيم" و"حِيلول هاشيم"، وهو أنَّ مصيرَ اسمِ الله عزَّ وجلَّ في العالمِ يعتمدُ على سلوكنا نحنُ اليهود، فلا يوجد شعبٌ آخر حُمِّلَ مسؤوليَّةٌ أضخم وأخطر من هذه، وكلٌّ واحدٍ مِنَّا له نصيبٌ من هذا التكليف.

فعندما يتصرَّف يهوديٌّ بشكلٍ سيِّئٍ، سواءً بالغشِّ في الأعمال التجارية، أو بالاعتداء الجنسي، أو بالتفوُّه بكلامٍ عنصريٍّ، أو بالتعامل بازدراءٍ الآخرين، فإنَّ ذلك لا يُسيءُ إليه وحده، بل ينعكسُ على جميعِ اليهود وعلى اليهوديَّة ذاتها. أمَّا حين يتصرَّف يهوديٌّ بصدقٍ وأمانةٍ في عمله، أو يُدافعُ عن ضحايا الاعتداءات، أو يُظهرُ كرمًا أخلاقيًا لافتًا، فإنَّ ذلك لا يُشرفُه فحسب، بل يُكرِّمُ جميعَ اليهود ويزيدُ أيضًا من احترامِ الناسِ للدين عمومًا، ولله عزَّ وجلَّ على وجهِ الخصوص.

وقد قال الحاخام موشيه/موسى بن ميمون الملقَّب بـ"رَمْبام" في كتابه "مِشنيه تورا"، في النصِّ الذي أشرنا إليه سابقًا في تفسيرنا لنصِّ "تَزْرِيع"، متحدِّثًا عن "قِدُّوش هاشيم": "ومن يفعل أكثر ممَّا يُمليه عليه الواجب في كلِّ ما يقوم به، مُتَجَنِّبًا في الوقتِ نفسه الغلوَّ والمبالغة، فقد قدَّسَ الله".¹

1. Mishneh Torah, Hilkhoh Yesodei HaTorah 5:11.

ويروي الحاخام نُورمان لام حكايةً طريفةً عن "مِنْدِلِ النادل"، يَرِدُ فيها أنّه حين وصلت أنباء العملية الجريئة التي شنتها إسرائيل على عنتيبي عام 1976 إلى رَكابِ بَاخِرَةٍ سِيَّاحِيَّةٍ، أَرَادَ الرّكَّابُ أن يُعَبِّروا عن إعجابهم وتقديرهم لِإِسْرَائِيلَ ولِلشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ، فسألوا إن كَانَ بين أفراد الطاقمِ أَحَدٌ من اليهود، فوجدوا رجلاً واحدًا فقط: مِندِلِ النادل. وفي احتفالٍ رسميٍّ صغير، تقدَّم قبطانُ السَّفينة، وألقى كلمةً تهنئةً باسمِ جميع الرّكَّاب، موجَّهًا إياها إلى مِندِلِ، الذي وجدَ نفسه فجأةً وقد أصبحَ – دونَ أن يَحْظُظَّ – سفيرًا فعليًّا للشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ. تُظْهِرُ هذه القِصَّةُ أَنَّا جميعًا، شئنا أم أبينا، سفراء للشعب اليهودي، إذ لا يعكس سلوكنا وأخلاقنا وطريقتنا في معاملة الآخرين صورتنا نحنُ فحسب كأفراد، بل صورة الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ ككلٍّ، وينعكس ذلك بالتالي على اليهودية نفسها، وعلى الإله الذي نعبُدُه أيضًا.

وقد كتب ويليام شكسبير في مسرحية "الليلة الثانية عشرة" (Twelfth Night):
"لا تخف من العظمة، فبعضُ الناسِ يولدونَ عِظامًا، وبعضهم يُحَقِّقون العِظَمَةَ بجهدهم، وآخرونَ تُفَرِّضُ عليهم العِظَمَةَ فرضًا".²

وفي الحقيقة، فإنَّه على مَرِّ التاريخ، فُرِضَت العِظَمَةُ على اليهودِ فرضًا. وكما كتب ميلتون هيملفارب، عالم الاجتماع الأمريكي المتخصص في دراسة المجتمع اليهودي في أمريكا: "إنَّ عددَ اليهودِ في العالمِ لا يتجاوز العدد الناتج عن خطأ إحصائي صغير في تعداد سُكَّانِ الصين، لكننا نَظِّلُ أعظمَ من عددنا بكثير. وهنالك أمور عظيمة تبدو وكأنها تحدثُ حولنا ومعنا طوال الوقت".³

لقد وضع الله عزَّ وجلَّ ثقته العظيمة فينا حين جعلنا سفراءه في عالمٍ قاسٍ يفتقر للإيمان، ويبقى الاختيار في أيدينا: هل ستكونُ حياتنا "قِدْوش هاشيم"، أم، لا قَدَّرَ الله، "حِيلُول هاشيم؟". أن يقومَ الإنسانُ، ولو مرَّةً واحدةً في حياته، بفعلٍ يجعلُ أحدهم مُمْتَنًا لوجودِ إلهٍ في السَّماءِ يُلْهِمُ البَشَرَ لفعلِ الخيرِ في الأرض، فذلك أعظمُ إنجازٍ يمكن أن يُحَقِّقَهُ أيُّ إنسانٍ. وقد حدَّدَ شكسبير ما هو التحدي الحقيقي بقوله الخالد: "لا تَخَفْ من العِظَمَةِ". وَتَقَعْ على عاتقِ القائدِ العظيمِ مسؤوليَّةُ أن يكونَ سفيرًا لله عزَّ وجلَّ، وأن يُلْهِمَ مَنْ حوله ليكونوا سفراءً أيضًا.

2. Shakespeare, Twelfth Night, act 2, scene 5.

3. Milton Himmelfarb, Jews and Gentiles (New York: Encounter Books, 2007), 141.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion

